

مستون: دورية أكاديمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة سعيدة – الدكتور مولاي الطاهر

المجلد: 18 العدد: 03، تاريخ النشر: 30 سبتمبر 2025

ISSN : 1112-8518 EISSN : 2600-6200

إسماعيل الصفوي مؤسس دولة ومنشئ فكر جديد

**Ismail Safavid, founder of a state and creator  
of a new thought**

أ.د كريم مطر حمزة الزبيدي

جامعة بابل (العراق)

Kareem.www4@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2025/07/26 تاريخ القبول: 2025/09/08 تاريخ النشر: 2025/09/30

**الملخص:**

كان اسماعيل الصفوي (ت930هـ/1524م)، أول من حقق وحدة إيران السياسية مستندا في ذلك على الفقه السياسي، والتاريخ، والقوة العسكرية القبلية، وتراث أسرته الديني ونسبها العربي الهاشمي ونضالها السياسي والعقدي الذي استمر أكثر من سبعة عشر عقدا، كما استند على عامل جغرافي تمثل في الهضبة الإيرانية التي شكلت عنصراً استراتيجياً وخطأً دفاعياً مهماً خلال الصراع العثماني الصفوي لوعورة طبيعتها وصعوبة مسالكها، ومهدت له القيام بأعماله العسكرية، فضلاً عن تأييد القبائل التركمانية والتاجيك وغيرهم بوصفهم القاعدة الأساسية والمحرك الأساسي للدولة الصفوية، واعتماده وحدانية مذهبية باتخاذ التشيع مذهباً رسمياً لتوحيد إيران، فاجتمعت لإسماعيل، بفعل ما تقدم، صفة الشاه والمرشد الأكبر متخذاً من السيف والقلم والدعوة باللسان أساليب متكاملة لتحقيق أهدافه السياسية، ليتمكن في النهاية من الاستيلاء على منطقة امتدت من هراة شرقاً وديار بكر و بغداد غرباً.

الكلمات المفتاحية: الصفويون؛ العثمانيون؛ إسماعيل الصفوي؛ التشيع؛ جالديران.

♦ المؤلف المراسل: أ.د كريم مطر حمزة الزبيدي

**Abstract:**

Ismail Safavid (d. 930 AH/1524 AD) was the first to achieve the political unity of Iran, relying on political jurisprudence, history, tribal military power, his family's religious heritage, its Arab Hashemite lineage, and its political and ideological struggle, which lasted for more than seventeen decades. He also relied on the geographical factor of the Iranian plateau, which constituted a strategic element. It was an important defensive line during the Ottoman-Safavid conflict due to the ruggedness of its nature and the difficulty of its paths, and it paved the way for him to carry out his military operations, in addition to the support of the Turkmen and Tajik tribes and others as the basic base and the main engine of the Safavid state, and his adoption of sectarian unity by adopting Shiism as an official doctrine to unify Iran, so Ismail gathered, As a result of the above, the Shah and the Grand Guide adopted the sword, the pen, and verbal preaching as integrated methods to achieve his political goals. He was ultimately able to seize control of an area extending from Herat in the east to Diyarbakir and Baghdad in the west.

**Keywords:** Safavids; Ottomans; Ismail Safavid; Shiism; Chaldiran.

**مقدمة:**

كانت إيران قبل القرن السادس عشر الميلادي مجزئة الى دويلات وامارات متناحرة تسود بينها الحروب وعدم الاستقرار، ومع اعلان إسماعيل الصفوي دولته في عام 1501 م بدء الاستقرار السياسي والاجتماعي وتكونت إيران الحديثة. يعد إسماعيل الصفوي مؤسس إيران الحديثة بكيانها الحالي ومنشئ فكرها السياسي والديني، ولعل الصراع بين بلاد فارس والعثمانيين على مناطق النفوذ في العراق وشرق الاناضول دعتة ان يفكر بإستراتيجية توحيد شعوب إيران المتعددة لمجابهة الخطر العثماني القريب من الحدود الغربية فقام بفرض الفكر الشيعي وجعله مضلة توحيد الشعب ضد العثمانيين السنة.

إسماعيل الصفوي 1501 – 1524 استفاد من خسارته المبررة في معركة جالديران عام 1514 أمام الجيش العثماني الذي كان يقوده السلطان سليم الأول، ففكر جديا في بناء جبهة داخلية ذات أسس عسكرية واجتماعية متينة، وقد بنا الأساس بصورة صحيحة اذ خلفاؤه استمروا على نهجه في إدارة البلاد ومجابهة العثمانيين.

## 1- الأسرة الصفوية:

كان اسماعيل الصفوي (ت930هـ / 1524م)، أول من حقق وحدة إيران السياسية مستنداً في ذلك على الفقه السياسي، والتاريخ، والقوة العسكرية القبلية، كما استند على عامل جغرافي تمثل في الهضبة الإيرانية التي شكلت عنصراً استراتيجياً وخطاً دفاعياً مهماً خلال الصراع العثماني الصفوي لوعورة طبيعتها وصعوبة مسالكها، ومهدت له القيام بأعماله العسكرية، فضلاً عن تأييد القبائل التركمانية والتاجيك وغيرهم بوصفهم القاعدة الأساسية والمحرك الأساسي للدولة الصفوية، واعتماده وحدانية مذهبية باتخاذ التشيع مذهباً رسمياً لتوحيد إيران، فاجتمعت لإسماعيل، بفعل ما تقدم، صفة الشاه والمرشد الأكبر متخذاً من السيف والقلم والدعوة باللسان أساليب متكاملة لتحقيق أهدافه السياسية، ليتمكن في النهاية من الاستيلاء على منطقة امتدت من هرة شرقاً وديار بكر وبغداد غرباً<sup>1</sup>.

ومن بين أهم القضايا التي شغلت بال المؤرخين المحدثين نسب الأسرة الصفوية وأصولها العرقية، بعد أن حاول بعضهم البحث في بطون الكتب عما يفند ادعاءهم بالنسب العلوي متأثرين في ذلك بما شاع في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، حينما ادّعت أعداد كبيرة من رعايا الدولتين القاجارية والعثمانية النسب الهاشمي للاستفادة من قوانين الإعفاء من الخدمة العسكرية، والحصول على بعض الهبات والمنح التي شرعتها السلطات الحاكمة مستهدفة استثمار الشعارات الدينية ورعاية نسل آل البيت، في تقوية مرجعيتها الدينية والسياسية عند المسلمين، فحاولت أسر كثيرة اختلاق أشجار نسب لها، مما اضطر الشاه ناصر الدين القاجاري (ت1313هـ / 1896م) إلى تأسيس وزارة تدرس أشجار النسب التي يقدمونها لبيان الصحيح من المنحول منها<sup>(2)</sup>.

(1) حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، ج3، بيت الحكمة، بغداد، 2005.

(2) أحمد الوائلي، هوية التشيع، ط3، النهضة، بيروت، 1994، ص55.

ومن أجل التعرف على أبعاد النفوذ الروحي والمعنوي الذي تمتعت به هذه الأسرة الصفوية قبل عهد الشيخ صفي الدين وخلالها وبعده، ينبغي معرفة أصول الأسرة الإثنية التي أخذت اسمها من صفي الدين هذا، وأفاد أحفاده من تلك الروحانية وهذا اللقب، فسارت طريقته في دروب النجاح وتحولت بعدها إلى دولة ومشروع سياسي.

ولد الشيخ صفي الدين اسحق الأردبيلي في قرية كلخوران التي تبعد ثلاث كيلومترات شمال أردبيل مركز أذربيجان على السواحل الغربية لبحر قزوين، وأشارت المصادر التي تضمنت شجرة النسب الصفوية اتصاله ب حمزة بن موسى الكاظم سابع أئمة الشيعة الاثني عشرية بعشرين ظهرا، وأول مصدر تضمن شجرة النسب هذه، كتاب "صفوة الصفا" الذي انتهى ابن بزّاز الأردبيلي من تأليفه سنة 759هـ/ 1358م<sup>(1)</sup>.

لقد حاول الكثير من أعداء الصفويين من عثمانيين ومماليك وأوزبك وقاجاريين وبهلوئين التشكيك بالنسب الذي ادّعاه الصفويون، بوصفه أساسا من أسس مشروعية تصديهم لحكم المسلمين، حين اشترطت غالبية المذاهب الإسلامية القرشية في الخليفة، فاختُلف في قبول النسب الصفوي، فمن المؤرخين من أصرّ على اتصالهم بالعلويين ومنهم من أنكر ذلك، بل أن البعض اختلف مع ذاته حول هذا الموضوع مع أن معظم الرافضين لنسبهم العلوي اعتمدوا نتائج تحقيقات المؤرخ الإيراني سيد أحمد كسروي حول أصل الأسرة وهويتها الطائفية من خلال مقارنته لعدد من النسخ الخطية لكتاب ابن بزّاز، وعرض هذه الآراء لأول مرة في مقالات متفرقة<sup>(2)</sup>.

والملاحظ أن صاحب كتاب "عمدة الطالب" لم يذكر شيئا عن النسب الصفوي حينما ذكر كل العوائل والأعراق من سلالة حمزة بن موسى الكاظم، فان ابن عنبه على الرغم من أنه ذكر كل أبناء حمزة ، ومنهم القاسم ثم ابنه أحمد

---

(1) حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ص19.

(2) احمد الكسروي، التشيع والشيعة، ط3، طهران، إيران، 1965، ص98

وأخويه حمزة ومحمد، فإنه لم يذكر من ذريته سوى أبناء الأخير، ولم يذكر شيئاً عن أبناء أخويه علي وأحمد، ولا يعقل أن ذرية هؤلاء قد اندثرت، لذا فعمدة الطالب لم يذكر أنساب كاملة من أبناء الكاظم وليس الصفويين حسب، فليس كل من لا يذكره صاحب العمدة ليس علويًا، ومصادر الشجرة الصفوية أقدم من ابن عنبه لأن ابن بزّاز سبقه بأكثر من خمسة عقود، كما أن وقفية تيمورلنك المختومة بختم آل تمغا التيموريالي

تتضمن هذه الشجرة هي أقدم من ابن عنبه، لأنها حررت سنة 806هـ/ 1403م، وأضيف بموجها إقطاعات كثيرة في أردبيل إلى الخواجة علاء الدين علي سياه<sup>(1)</sup>.

وإذا كان يمكن لأحد التشكيك بدقة شجرة النسب الصفوي، أسوة بأشجار النسب المشابهة، حينما يقرر عدم وجود شجرة النسب قبل أيام إسماعيل وطهماسب، وهو ظن ليس واردا شكّه في سيادتهم أيضاً، لأنه توجد إشارات متواترة تعود إلى ما قبل نشوء الدولة تقرّ بعلويتهم، في مقدمتها إشارة الخواجة عبد الرحيم بن شمس الدين بن محمد الأقطابي الخطاط الشهير بخلوتي تبريزي (ت859هـ/1455م) الذي ألف كتاباً عن الشيخ إبراهيم الصفوي، وكتب يقول "إبراهيم العلوي الموسوي، وهو شاهد على أن الصفويين عرفوا بالسيادة قبل قيام دولتهم. كما جاءت شهادات لرجال من أعداء الصفوية يقرون بعلويتهم، منها ما ورد على لسان الفضل بن روزبهان الخنجي الذي اعترف بعلوية الشاه إسماعيل على الرغم من كرهه للصفويين، وترجمة صاحب كتاب "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، لعلاء الدين علي جد الشاه إسماعيل المدفون في بيت المقدس، وكذلك رسائل خليل الله شيروان شاه التي يخاطب فيها الشيخ جنيد (ت864هـ/1460م) باسم السيد ومن زمرة السادات، ومنها كتاب السلطان العثماني بايزيد الثاني (ت918هـ/1512م) إلى إسماعيل، والذي كان أطلق على آبائه صفات وألقاباً تطلق على السادة عادة، ومنها كتاب السلطان يعقوب

---

(1) أحمد الوائلي، المصدر السابق، ص59.

(ت896هـ/1491م) إلى السلطان بايزيد الثاني الذي يخبره فيه بقتل الشريف الأجل السلطان حيدر (ت893هـ/1488م) والد إسماعيل<sup>(1)</sup>.

## 2- مولده ونشأته:

ولد في 25 رجب 892هـ/1487م وتوفي أبوه وهو صغير فنشأ لدى حاكم (لاهيجان) الذي كان ينتصر للصفويين، الذين يقال إنهم بدأوا حركة صوفية بقيادة شيخ متصوف هو "صفى الدين الأربيلي"<sup>(2)</sup>.

اعتقل هو واخوته وأمه بعد مقتل والده وكان عمره عاما واحدا، وبعد ان قضى هو وعائلته أربع سنين في سجنهم في قلعة اصطخر جاء خبر وفاة يعقوب عام 896هـ\1491م فأطلق سراحهم، وعاش بعد وفاة أبيه في كنف "كاركيا ميرزا" حاكم "لاهيجان" الذي كان محبا للمسلمين الصفويين. ظل إسماعيل الصفوي خمس سنوات تحت سمع هذا الحاكم وبصره، حتى شبّ قويا محبا للفروسية والقتال، قادرا على القيادة والإدارة وهناك خلاف حول أصله بين عربي أو تركماني أو فارسي وفي أثناء هذه المدة كانت الدولة تعيش صراعات بين أفراد أسرة آق قويونلو التي كانت تحكم فارس آنذاك، وهو ما استغله أنصار الصفويين، وأمروا عليهم إسماعيل الصفوي، وكان صغيرا لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، لكنه كان مهياً للقيادة والزعامة بفضل الرعاية التي أحاطه بها حاكم لاهيجان<sup>(3)</sup>.

عاش "إسماعيل الصفوي" في عصر كانت البلاد تعاني فيه من صراع أفراد أسرة (قراقويونلو) التركمانية أو (أصحاب الخراف السوداء) التي كانت تسيطر على إيران مع أسرة (واق قويونلو) أو (أصحاب الخراف البيضاء) مما زاد في تمزقها الذي عانت مع غزو المغول<sup>(4)</sup>.

---

(1) حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ص20.

(2) بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير، الملاك، بيروت، 1980، ص235.

(3) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ط2، النجف، 1965، ص204.

(4) أحمد الكسروي، المصدر السابق، ص101.

كان الشاه "إسماعيل الصفوي" شاعراً غزيراً الانتاج وكان يوقع باسم مستعار هو "خطائي". كان يكتب باللغة الأذربيجانية والفارسية وترك أكثر من 400 قصيدة في الغزل، وكان يكتب الرباعيات ولها شهرة كبيرة اليوم ومعظمها في الحب الصوفي<sup>(1)</sup>.

أدت تربية إسماعيل الصفوي العسكرية الصارمة إلى أن يمسك زمام الأمور الصعبة في سن صغيرة وتروى أسطورة حول "إسماعيل الصفوي" تقول إنه اختفى وهو صغير مع عدد من أتباعه لمدة سنوات ثم ظهر في تبريز لينشر الشيعة فيها ويخوض معارك ضد المتصارعين على البلاد، وفرض المذهب الشيعي واستولى على المدينة عاصمة (الخراف البيضاء) وأعلنها عاصمة لدولته التي سعى لتوحيدها، فاصطدم بقبائل الأوزبك التي كانت قد أسست مملكتها بعد هزيمة أتباع تيمولنك واستولت على عاصمتهم سمرقند ووصلت إلى هراة، وكانت تسيطر أيضاً على شمال شرق فارس، تمكن إسماعيل الصفوي وأنصاره من خوض عدة معارك ضد حكام بعض المناطق في إيران والتغلب عليهم، وتساقطت في يده كثير من المدن الإيرانية، وتوج جهوده بالاستيلاء على مدينة "تبريز" عاصمة آق قويونلو، ودخلها دخول الفاتحين، ثم أعلنها عاصمة لدولته<sup>(2)</sup>.

وبدخول إسماعيل مدينة تبريز تم تتويجه ملكاً على إيران، ولقبه أعوانه بأبي المظفر شاه إسماعيل الهادي الوالي، وذلك في سنة (907 هـ / 1502م) وأصدروا العملة باسمه ليصبح مؤسس الدولة الصفوية في إيران، والقائد الديني الذي أسس الحكم للصفويين مع التذكير أنه سليل عائلة دينية لها تقدير واسع في أرباب المناطق المجاورة لها ويرجع بعض المؤرخين ذلك بسبب أصل الصفويين

---

(1) إبراهيم خليل أحمد، دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، الصادق، العراق، 2006، ص24.

(2) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، النهضة، بيروت، 1982، ص312.

الذي نسبته بعض المؤرخين الى الامام علي بن ابي طالب، مع العرض ان هذا النسب كان دوما عرضة للطعن والخلاف بين المؤرخين<sup>(1)</sup>.

### 3- الصراع الصفوي مع الأوزبك:

بعد أن فرغ إسماعيل الصفوي من تعديل دولته بدأ يوجه همه إلى تدعيم الوحدة السياسية لدولته، ويعد العدة ليضع يده على كل بلاد فارس، وكان لا بد من الاصطدام بقبائل الأوزبك التي كانت تموج في المناطق الشمالية الشرقية من فارس ، كانت قبائل الأوزبك تعتنق المذهب السني، وتحت زعامة محمد شيباني الذي نجح في أن يقيم ملكا على حساب الدولة التيمورية ، وأن يستولى على عاصمتها "سمرقند" وأن يمد سيطرته على "هراة" في مطلع سنة (913 هـ/ 1507م)، وهكذا أصبح الأوزبك وجها لوجه أمام إسماعيل الصفوي، وزاد من الصراع التواشق المذهبي بينهما، وبلغ من اعتداد محمد شيباني أن أرسل إلى إسماعيل الصفوي يدعوه إلى ترك المذهب الشيعي والعودة إلى مذهب السنة والجماعة، ويهدده بحرب ضروس في قلب إيران ذاتها، وبهذا أصبح لا مفر من الحرب بينهما<sup>(2)</sup>.

كان شيباني يتصف بالجرأة والإقدام، لكنه لم يكن على مستوى عدوه إسماعيل الصفوي في المراوغة والخداع في الحروب، فاستغل إسماعيل ذلك، وجرَّ خصمه إلى معركة كان قد استعد لها تماما، وتمكن من إلحاق هزيمة مدوية به في "محمود آباد" -وهي قرية تبعد قليلا عن مرو- وذلك في سنة (916 هـ/ 1510 م)، قتل شيباني نفسه في المعركة، وبعد مقتله أكثر إسماعيل الصفوي القتل في أهل مرو، وأمضى فصل الشتاء في هراة، وأعلن فيها المذهب الشيعي مذهبا رسميا، على الرغم من أن أهالي هذه المناطق كانت تدين بالمذهب السني<sup>(3)</sup>.

---

(1) بديع محمد جمعة، المصدر السابق، ص238.

(2) جلال يحيى، العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، الاسكندرية، 1989، ص76.

(3) طالب محبب حسن الوائلي، إيران في عهد الشاه اسماعيل الصفوي (1501-1524)، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 2007، ص15.

#### 4- الصراع الصفوي العثماني:

اتسمت العلاقات بين الدولة الصفوية الناشئة والعثمانيين بالهدوء، وساعد على ذلك أن السلطان بايزيد الثاني الذي تولى بعد محمد الفاتح كان رجلاً يحب السلام ويحب الأدب والفلسفة، ويميل إلى دعم العلاقات العثمانية الصفوية، لكنه حين علم أن إسماعيل الصفوي يتمادى في إلحاق الأذى بالسنة، مما جعلهم يهربون إلى الأراضي العثمانية كتب إليه أن يلتزم بالعقل والحكمة في معاملتهم، ومع تولي السلطان سليم الأول مقاليد الحكم في الدولة العثمانية ازداد التوتر بين الدولتين، وكان سليم الأول ينظر بعين الارتياح إلى تحركات الصفويين، ويخشى من تنامي قوتهم وتهديدهم لدولته؛ فعزم على مهاجمة خصمه وتسديد ضربة قوية قبل أن يستعد للنزال<sup>(1)</sup>.

جمع السلطان سليم الأول رجال الحرب والعلماء والوزراء في مدينة أدرنة في (19 من المحرم 920 هـ / 16 من شهر مارس 1514 م)، وذكر لهم خطورة إسماعيل الصفوي وحكومته الشيعية في إيران، وأنه اعتدى على حدود الدولة العثمانية، وأنه فصل بدولته الشيعية المسلمين السنيين في وسط آسيا والهند وأفغانستان عن إخوانهم في تركيا والعراق ومصر. ولم يجد السلطان العثماني صعوبة في إقناع الحاضرين بضرورة محاربة الصفويين؛ لأنهم صاروا خطراً داهماً يهدد وجود العثمانيين، وخرج بعد 3 أيام من هذا الاجتماع على رأس جيش كبير متجهاً إلى إيران، ولم ينس وهو في طريقه أن يكتب إلى "عبيد الله خان" قائد الأوزبك يذكره بقتل عمه شيباني، ويحثه على الانتقام من إسماعيل الصفوي، ومهاجمة خراسان بمجرد وصول الجيش العثماني إلى إيران، وكان هدف سليم من ذلك أن يجعل إيران بين شقي الرمح من الغرب بهجومه، ومن الشرق بهجوم عبيد الله خان على خراسان، وحين علم إسماعيل الصفوي بقدوم القوات العثمانية - وكان مشغولاً بإخراج الأوزبك من خراسان - عمل على تعطيل وصولها، فأمر بتخريب الطرق والقرى الواقعة في طريق الجيش العثماني؛ الأمر الذي أخر وصول

---

(1) علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، طرابلس، 1986، ص 176.

العثمانيين وأنهك قواهم، لكن ذلك لم يمنعهم من مواصلة السير إلى إيران، والإقامة في "سيواس" انتظاراً للمعركة الحاسمة<sup>(1)</sup>.

لم يبد إسماعيل الصفوي حماساً للمعركة، وحاول أن يتجنب ملاقات العثمانيين باستدراج الجيش العثماني إلى داخل إيران، ليقطع خطوط الإمدادات عليه، لكن سليم الأول كان منتهباً لما يدور في ذهن خصمه، فعزم على الإسراع في لقاء الصفويين، وخاصة بعد أن بدأ التدمير يشق طريقه إلى جنود العثمانيين من طول الانتظار وكثرة الانتقال من مكان إلى آخر، وقد التقى الفريقان في صحراء جالديران في شرق الأناضول في (2 رجب سنة 920 هـ / 24 من آب 1514 م) وانتهت المعركة بهزيمة إسماعيل الصفوي هزيمة نكراء، وفراره من أرض المعركة إلى أذربيجان، ووقوع كثير من قواده في الأسر<sup>(2)</sup>.

وفي (14 من شهر رجب 920 هـ = 5 من ايلول 1514 هـ) دخل سليم الأول مدينة تبريز عاصمة الصفويين واستولى على أموال إسماعيل الصفوي وبعث بها إلى إستانبول، ثم قفل راجعاً إلى بلاده، مكثفياً بهذا النصر الكبير، غير راغب في اقتفاء أثر إسماعيل الصفوي والتوغل في بلاده، وعلى الرغم من الهزيمة المدوية التي لحقت بإسماعيل الصفوي، فإنها لم تحسم الصراع لصالح العثمانيين، وظل كل طرف يترصد بالآخر وينتظر الفرصة للانقضاض عليه، ونظراً لفداحة خسائر الصفويين؛ فقد حاول إسماعيل الصفوي أن يبرم صلحاً مع السلطان سليم الأول، لكن محاولته لم تلق قبولا لدى السلطان العثماني، وقد ترتب على انتصار سليم الأول أن نهض رؤساء شمال العراق -وهم من الشافعية السنة- لمساندة العثمانيين. فلم يمض وقت طويل حتى انضمت 25 مدينة للحكم العثماني، على الرغم من الاستحكامات العسكرية التي أقامها الصفويون بها، فتوسع العثمانيون وضموا إليهم ديار بكر وسائر مدن شمال العراق حتى أصبح الجزء الأكبر من أراضي شمال العراق في يد العثمانيين، وأصبح الإيرانيون وجهاً لوجه أمام

---

(1) حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ص35.

(2) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص225.

العثمانيين، وبات من الصعب على الصفويين التوسع على حساب العثمانيين<sup>(1)</sup>. وقد تركت الهزيمة التي لقيها إسماعيل الصفوي أثارا قاسية في نفسه، ولم يكن قد لحقت به هزيمة قبل ذلك. وشغل نفسه بالتفكير في طريقة الانتقام من غريمه سليم الأول، إلا أن المنية عاجلت سليم الأول سنة (926 هـ / 1520م) وهو في طريقه لغزو إيران مرة أخرى حيث شجعت وفاة سليم الأول المفاجئة إسماعيل الصفوي على أن تستحكم منه الرغبة في الانتقام من العثمانيين من جديد، غير أن الموت اغتال أمنيته؛ فمات متأثرا بالسل وعمره سبعة وثلاثون عاما في (18 رجب 930 هـ / 23 مايو 1524م) على مقربة من أذربيجان، ودفن في أردبيل إلى جوار أجداده، وخلفه في الحكم طهماسب الأول<sup>(2)</sup>.

#### 5- نشر التشيع في إيران:

لقد حقق المشروع الصوفي الصفوي انتشارا فكريا في رقعة جغرافية واسعة ضمت الهضبة الإيرانية التي تضم اليوم كامل إيران فضلا عن أفغانستان وأجزاء مهمة من باكستان والعراق وكردستان والأحواز وتركستان والأناضول والشام وغيرها، وهو أمر ساعد إسماعيل في تحقيق مشروعه إلى حد بعيد مرتكزا على التراث الديني الطويل للأسرة الصفوية، والدماء التي دفعوها في سنوات الكفاح للوصول إلى الحكم وقد شكلت جموع البدو وسكان الأقاليم المذكورة التي ظلت تعاني الفاقة والجوع وهضم الحقوق السياسية قاعدة بشرية لهذا المشروع السياسي، وأسهمت الظروف القاهرة التي مرت بالأسرة الصفوية في إضفاء هالة من القدسية والسمو الديني عليها، إلى جانب كل محطات النضال السياسي والعقائدي تلك، فأصبح المقتولون منهم شهداء في نظر الناس وفي تصور الولاة والحكام، أما الأحياء منهم فكان هناك الكثير من رعايا الدولة والمخلصين لها ممن

---

(1) إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص22.

(2) بديع محمد جمعة، المصدر السابق، ص236.

نظر لهم أنهم طلاب حق وأصحاب رسالة تداخل فيها الديني بالسياسي، فولّد رهبة في النفوس تجاههم، وهو ما أتى أكله خلال مرحلة تأسيس الدولة<sup>(1)</sup>.

وحينما وصل إسماعيل إلى الحكم، بادر إلى اعتماد نظام ملكي مطلق يستمد مشروعيته من التأسيس العقيدي للدولة، وهو اتخاذ المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً دون أن يغفل الشرعية الثورية، واستند إلى جموع المحرومين والمضطهدين من جيع الأناضول وأنصار الطريقة الصفوية وفئات أخرى من مؤيديه، وهنا يؤكد عدد من المؤرخين أن إيران كانت سنية قبل العهد الصفوي ثم تحولت إلى التشيع بقوة السيف، أو أن الصراع الشيعي السني ظل فقهماً إلى أن وصل الصفويون إلى الحكم فتحول إلى سياسي، لكن الأهم هنا هو توضيح وجود التشيع في إيران الذي لم يكن مرافقاً للمشروع السياسي الصفوي، بل يمتد إلى العقود الإسلامية الأولى، وأن التجربة السياسية الصفوية لبناء دولة شيعية ليست الأولى في التاريخ الإيراني، وهي ما حاول الصفويون الإفادة منها<sup>(2)</sup>.

يمكن الاستنتاج أن التشيع في إيران كان يتقدم باطّراد في مختلف العصور التي مرت عليها بفعل السياسة والأدب والتصوف والحديث، لاسيما بين صفوف المسلمين المعتدلين من أهل السنة، وتلمس هذه العقائد بجلاء من خلال وجود آثار مادية إيرانية، إذ يقرأ على آثار قبر السيدة فاطمة بنت موسى الكاظم في قم، دعاءً يعود إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يتضمن صورة من تداخل الدعاء الشيعي بالعقائد السنية فيعظم فيه آل البيت والصحابة الراشدين ويدعو لهم بالنصر ويلعن ظالمهم وأعداءهم، والأمر نفسه يلاحظ على الآثار التي وصلت من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي<sup>(3)</sup>.

---

(1) سليمان ظاهر، تاريخ الشيعة السياسي والثقافي والديني، تحقيق عبد الله سليمان، بيروت، 2002، ص 43.

(2) إبراهيم خليل أحمد، المصدر السابق، ص 42.

(3) شاهين مكاريوس، تاريخ إيران، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003، ص 189.

ومما جاء ذكره سلفا يتضح أن إعلان إسماعيل للتشيع لم يكن فرضا للمعتقد بالقوة بمقدار ما كان قطافا لثمرة جهود امتدت منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، فلم يكن الإيرانيون رافضين للتشيع بمقدار رفضهم لأسلوب الشاه إسماعيل وسياسته الدموية.

حين تصدى الشاه إسماعيل لبناء دولته الكبيرة اصطدم بأنها دولة تتكون من حوالي ثلاثين تجمعاً عرقياً ومذهبياً مختلفاً وكان الاختلاف بين هذه التجمعات وتعقيدات التضاريس الجغرافية لذا كان على الشاه إسماعيل أن يجمع إيران ويوحدها في كيان واحد عن طريق زجّها في مشروع سياسي واحد ذي هوية مناسبة ليكون الدولة الوطنية أو الأمة حيث تصوّر إسماعيل أن الأيديولوجية المذهبية تصبّ في صالح الدولة الجديدة وتعطيها قدرة تخرجها من المحن وتمكّنها من التغلب على مشاكلها وتجعلها تخطو إلى الأمام بثقة، وإذا ما تفانى الإيرانيون بالدعوة إلها (المذهب) وبذلوا الجهد في نشرها على حساب القوى الأخرى يمكن للشاه أن يصادر هذا الجهد لصالح مشروعه السياسي وتجيير هذه الجهود لصالح توسعة الدولة وثبتت أركانها والتصدي للعدو القوي المتربص المتمثل في الدولة العثمانية التي سبق ظهورها على دولته بقرون عدة ، وكان ذلك يؤلف، في الوقت نفسه، أفضل وسيلة متيسرة في ظل قيم المجتمع الإقطاعي الذي كان سائداً في إيران<sup>(1)</sup>.

لقد أدرك الشاه أن دولته الوليدة تقع بين كيانات سياسية عريقة ذات اتجاهات فكرية مستقرة ، فمن الشرق تجاوره دولة الأوزبك السنية ومن الغرب تجاوره دولتا الممالك السنية والعثمانية البكتاشية الصوفية ، فكان عليه أن يتبنى هوية عقيدية مختلفة عن هويات هذه الدول، لأن اتخاذه المذهب السني كان يستلزم انضواء إيران والشاه تحت سلطان الممالك أو الأوزبك ، لأنه وعلى وفق الفقه السياسي السني لا يمكن القبول بوجود سلطانين في آن واحد، وكذلك الحال إذا ما استمر على عقيدته الصوفية بالنسبة للعثمانيين، كما يمكن أن

---

(1) حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ص123.

يمثل ذلك خطرا مستقبليا على دولة الشاه إذا ما تمكن الجيران من انتزاع تأييد بعض الإيرانيين مستغلين الانتماء المذهبي لهؤلاء ، وهكذا فإن تبني التشيع أوجد تمايزا عقائديا واضحا ليس عن القوى المجاورة حسب، بل وعن الدول الكبرى التي سبق وأن تأسست في إيران، فحصلت الدولة الصفوية الوليدة بموجب ذلك على هوية الأرض والسياسة لإمة جديدة<sup>(1)</sup>.

وجد إسماعيل الصفوي في المذهب الشيعي طوق نجاة لإيران يخلصها من التمزق والحروب الداخلية وصار التشيع جامعا للإيرانيين يدافعون عنه جميعا بوصفه عقيدة دينية وسياسية في آن واحد، أضحت فيما بعد الأساس التاريخي للدولة القومية الإيرانية دون أن ينسى استغلال أصول أسرته سواء إلى آل البيت أو الألقاوينلو في مشروعه السياسي، كما لم ينس استخدام النزعات الشيعية التي أخذت من الطريقة الصفوية مأخذا، لقد كان للمحقق الكركي دور كبير في توجيه هذه الأيديولوجية المذهبية بما يضمن التغلب على مشاكلها وتجعلها تخطو إلى الأمام بثقة وتخرج إيران من المحن. كما أوجد الشاه إسماعيل منصب الصدارة الذي كان معروفا خلال العهود التيموري والتركمانى والعثمانى، وأفاد منه شاهات الصفوية للتعامل مع الأمور الروحية والأوقاف وشؤون الدين، إذ كان أهم واجباته قمع المذاهب الدينية الأخرى ومحاربة معتنقيها، وهو كان أمرا مهما بنظرهم من أجل خلق دولة قوية تستطيع الصمود أمام أعدائها، واستمر هذا النشاط للصدر حتى وفاة إسماعيل ليظل مقتصرًا على شؤون المذهب الديني والنظارة على الأوقاف، وبذلك قلّ نفوذه السياسي<sup>(2)</sup>.

يتبادر للمتتبع سؤال مهم يتعلق بوعي إسماعيل ومؤهلاته الفكرية ورؤاه التي ألهته للنهوض بمشروع بناء الأمة الإيرانية الحديثة، وإذا ما كان يمكنه أن يتصدى لمهمة طالما عجز عنها سياسيون كبار ومحنكون مثل محمد خدابنده وأوزون

---

(1) كريم مطرحمة الزبيدي، الفكر السياسي لعلماء الدين في إيران، دار حدائق للنشر والتوزيع، بغداد، 2019، ص 22.

(2) المرجع نفسه، ص 25.

حسن وغيرهما. أو أن هناك من يقف خلف هذا المشروع، إذا ما أخذنا بالحسبان أن الشاه ولد سنة 892هـ/1487م وحينما توج شاهًا كان عمره لا يتجاوز أربع عشرة سنة، والواقع أن جوابا قاطعا على مثل هذا الاستفهام يظل أمرا صعبا في ظل تعمد حاشية إسماعيل إحاطة شخصه وإنجازاته بغموض روحاني يؤطره التصوف والطوقسية الإيرانية المعروفة ، جزءا من الولاء الروحي والسياسي لشخصه، فتصوره المصادر الفارسية دوما بأنه كان رجل المهمات الصعبة، فمهما يحاول الفرد تصور العبقريّة التي يمكن أن يتمتع بها صبي في مثل تكوين إسماعيل النفسي والتربوي، لا يعقل أن يتمتع بكل هذه الكفاءة السياسية والمهارة في استخدام السيف ضد أعدائه ، دون أن ينسى استخدام المقدس والرؤى الصوفية للجم أفواه أنصاره وأعدائه على حد سواء ، إذا ما أبدوا شكّا أو اعتراضا على أوامره ، من دون أن يقف وراء ذلك مستشارون محنكون<sup>(1)</sup>.

وإذا ما تتبعنا الشخصيات المحيطة بإسماعيل والتي يمكن أن تؤثر في قراراته وتتبنى المشروعين العقائدي والوطني في إيران ، يتبادر إلى الذهن أولا زعماء التجمعات التركمانية "أهل الاختصاص" الذين رافقوه في رحلة التشرّد والنضال وأقصوا أخاه إبراهيم ليرفعوه إلى عرش تبريز، وليحققوا من خلاله ما فقدوه من مزايا سلطوية في الدولة العثمانية التي تحولت نحو الحكم المركزي منذ أيام محمد الفاتح ، لكن ما يجعل هذا التصور صعبا أنهم كانوا في خضم المشروع العقائدي من أهم المعارضين على اتخاذ التشييع الاثني عشري عقيدة للدولة مفضلين عقيدة والده حيدر القزلباشية، و كذلك على صعيد المشروع الوطني المتمثل في احتواء الفرس في تشكيلات الدولة الصفويّة ، إذ أنهم حاولوا في أكثر من موقف إقصاء الفرس لإحساسهم أن دخولهم في البنية السياسية للدولة يعني تقليل أهمية القزلباش. اما الشخصية الثانية هو كاركيا ميرزا علي الذي استضاف إسماعيل وأخوته وتحمل في ذلك المخاطر، لكن الأخبار القليلة التي وصلت عن طبيعة العلاقة بينهما لا تؤيد أن يكون كاركيا ميرزا علي مسؤولا أو مشيرا لمشروع

---

(1) أحمد كسروي، المصدر السابق، ص56.

إسماعيل، ذلك أن خروج إسماعيل من لاهيجان كان بحد ذاته مربيا ، فهو قد خرج في منتصف محرم سنة 905هـ أواخر آب 1499م وليس معه سوى سبعة اشخاص هم أهل الاختصاص ، وبين هذا التاريخ وبين الوقت الذي بدأ إسماعيل عملياته العسكرية في حدود جمادى الأولى 906هـ أيلول 1500م، أكثر من سنة قبل أن يبلغ الثالثة عشرة من العمر، وهذا يوحي بأن إسماعيل ربما أبعد بطريقة ما من غيلان لا لأنه حان وقت ظهوره، وأن كاركيا خرج لتوديعه، فالمصادر الصفوية اختلفت بكل شيء، حتى في ذكر اسم المكان الذي بلغه كاركيا ميرزا علي في توديع إسماعيل بين أوجوان أو سامان، وهما من توابع الديلم وأرجوان من توابع آستارا، ويؤيد هذا من طرف خفي غبطة كاركيا ميرزا من موت رستم عدو إسماعيل، إذ ينقل صاحب كتاب "عالم آراى شاه اسماعيل" أن مقتل رستم بيك قد أدخل السرور إلى قلب كاركيا ميرزا علي، فتوجه إلى إسماعيل بالقول: "إن رستم مات و أن خروجكم قد حان إن شاء الله"<sup>(1)</sup>.

وما يؤيد هذا التصور أيضا ما ذكرته المصادر المتيسرة من أن كاركيا ميرزا علي قتل سنة 911هـ/ 1506م، بعد أن خرج عليه أخوه كاركيا ميرزا حسين، ليتسلم الحكم بدلا عنه، ثم ما لبث أخوه هذا أن قتل بعد سنة بيد ابنه أحمد الذي تسلم الحكم وقابل إسماعيل بعد سنوات طويلة وأكرمه ، وأهمية هذا في حديثنا أنه أول حاكم غيلاني تحوّل من المذهب الزيدي الجارودي إلى تبني التشيع الاثني عشري بمعنى أن عمه كاركيا علي ظلّ زيديا جاروديا يرجع في الأصول إلى عقائد المعتزلة وفي الفروع إلى مذهب الحنفية ، وإذا ما قيل أن من يقف وراء هذا المشروع، معلم إسماعيل ووزيره فيما بعد شمس الدين اللاهيجي، فإن هذا القول يمكن الأخذ به ، بسبب ما يتبين من مؤلفاته التي تركها، إذ أنه كان صوفيا نوريشيا أي أنه كان ثوريا متأثرا بالكثير من طقوس التشيع الاثني عشري

---

(1) جلال يحيى ، العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، الإسكندرية، 1989، ص89.

ومعتقداته ، أما من الناحية الإثنية فإنه كان تاجيكيا من سكان كيلان ويحمل ثقافة عالية ويتمتع بشخصية قوية وجذابة تؤهله لأداء مثل هذه المهمة الكبيرة<sup>(1)</sup>. وهناك شخصية فارسية أخرى هي نجم الدين مسعود الصائغ الذي تعرف على إسماعيل في رشت، وأخلص في التواصل معه ورعايته ، وخلال رحلة خروجه إلى شيروان التحق به، وأخبره أن الأمير اسحق في رشت ووزيره كوسه عباس يبغيان قتله ، فهرب والتحق به ، وكان لنجم من الأهمية في حياة الشاه أنه عينه بمنصب "نفس الشاه النفيسة"، وبعد وفاته عين شخصا آخر مكانه سمّاه "نجم الثاني"، اعتازا به ، ويمكن القول أن الأمير نجم كان يقف وراء مشروع إسماعيل المذهبي والوطني، وهكذا فإن شمس الدين اللاهيجي و الأمير نجم الدين مسعود هما أقرب الناس روحيا إلى إسماعيل ، وهذا القرب أهلّهما لإقناعه بمشاريعهما و رؤاهما السياسية العميقة ، لكن هذا الاستنتاج لا يمكن أن ينفي إفادة إسماعيل من رؤى الآخرين من زعماء المكونات الأخرى للدولة ، لاسيما رؤساء التجمعات التركمانية (القلزباش)، وبهذا فإن قيام دولة شيعية في ظل هذه الأجواء يبقى عملا بطوليا ، على الأقل لأنها خلقت مواجهة حتمية مع الدولة العثمانية ، نجح من خلالها إسماعيل في منع العثمانيين من ضم إيران إلى دولتهم ، وجعل الإيرانيين يسعون أكثر من أجل الحصول على الهوية الوطنية ، وأوجد دولة مركزية وقوية<sup>(2)</sup>. أدت الهزيمة الوحيدة امام العثمانيين في حياة اسماعيل الصفوي إلى إصابته بإحباط شديد فأدمن الخمر واستعد للانتقام لكن "سليم الأول" توفي عام 1520، ولحقه اسماعيل الصفوي بالسل عام 1524م عن 37 عاما ودفن في أردبيل إلى جوار أجداده<sup>(3)</sup>.

---

(1) أحمد كسروي، المصدر السابق، ص108.

(2) احمد الوائلي، المصدر السابق، ص59.

(3) طالب محبيس، المصدر السابق، ص232.

## الخاتمة:

- نستنتج في نهاية الدراسة ان إسماعيل الصفوي توفرت له ظروف شخصية وسياسية وعسكرية جعلته يسير في طريق النجاح، منها:
- مؤهلات قيادية فهو منذ صباه يمتلك روح قيادية فريدة استطاع من خلالها النجاح في حروبه العسكرية وتوحيد الجبهة الداخلية لإيران.
  - حضي إسماعيل الصفوي بمستشارين ذات كفاءة عالية رسموا له الطريق الصحيح في الإدارة والتعامل مع الاحداث منهم نجم الدين مسعود وشمس الدين اللاهيجي.
  - كانت اسهاماته كبيرة في توحيد المشروع الديني اذ فرض التشيع مذهب ديني على الإيرانيين، وهو في الواقع مشروع سياسي لمواجهة العثمانيين.
  - أسلوب الترغيب والترهيب وبمساعدة علماء دين من خارج إيران منهم المحقق الكركي ساعد في تنفيذ مشروعه الديني.
  - كل المشاريع التي قام بها إسماعيل الصفوي سياسيا وعسكريا ودينيا تصب في بناء الدولة وتماسكها ومجابهة التحديات الداخلية والخارجية.

## المصادر والمراجع:

- إبراهيم خليل أحمد، دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر، مؤسسة دار الصادق الثقافية، الحلة، 2006.
- أبو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ط2، النجف، 1965.
- أحمد الوائلي، هوية التشيع، ط3، النهضة، بيروت، 1994.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، دار النهضة للنشر والتوزيع، بيروت، 1982.
- أحمد كسروي، التشيع والشيعة، ط3، طهران، إيران، 1965.
- بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير، دار الملاك للنشر والتوزيع، بيروت، 1980.
- جلال يحيى، العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، الاسكندرية، 1989.
- حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، ج3، بيت الحكمة، بغداد، 2005..

## إسماعيل الصفوي مؤسس دولة ومنشئ فكر جديد

- سليمان ظاهر، تاريخ الشيعة السياسي والثقافي والديني، تحقيق عبد الله سليمان، بيروت، 2002، ص43.
- شاهين مكاريوس، تاريخ إيران، دار الافاق العربية، القاهرة، 2003، ص189.
- طالب محبيس حسن الوائلي، إيران في عهد الشاه اسماعيل الصفوي (1501-1524)، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007.
- علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، طرابلس، 1986.
- كريم مطر حمزة الزبيدي، الفكر السياسي لعلماء الدين في إيران، دار حداثة للنشر والتوزيع، بغداد، 2019.